

مفاهيم القرآن

(58) الثاني: ما معنى القضاء؟ أمّا القدر بمعنى التقدير والتحديد، فكل ظاهرة طبيعية بل كلّ موجود إمكاني خلق على تقدير وتحديد خاص، ولا يوجد في عالم الكون شيء غير مقدّر ولا محدّد، وإليه يشير سبحانه بقوله: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (1). وقوله سبحانه: (وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) (2). فالموجودات من النبات إلى الإنسان محدّدة بالحدّ الذي نعبر عنه بالماهية، وهكذا الحال في الجمادات. وأمّا القضاء وهو حتمية وجود الشيء بعد تقديره وتحديدّه، وذلك رهن وجود سببه التام الذي يلزم وجود المسبب على وجه القطع والبت، فقضاه سبحانه عبارة عن إضفاء الحتمية على وجود الشيء عند وجود علته التامة، قال سبحانه في مورد السماوات: (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا) (3). ويقول في حقّ الإنسان: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا) (4) أي حكم حكماً حتمياً بأنّ لوجود الشيء مدّة محدّدة لا يتجاوز عنها. هذا هو معنى القضاء والقدر من غير فرق بين وجود الإنسان وأفعاله ووجود الجواهر وأعراضها، غير أنّ الجميع قبل التقدير و القضاء مكتوب في كتاب عند الله سبحانه، وقد أشار إليه الكتاب العزيز في بعض الآيات: (مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (5). (1) القمر: 49. (2) الحجر: 21. (3) فصلت: 12. (4) الانعام: 2.